الكلية: الآداب

القسم او الفرع :التاريخ الاسلامي

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة: ريا صابر عبد العزيز

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ الدولة العباسية

اسم المادة باللغة الإنكليزية: History of the Abbasid state

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة العربية: ـــ دخول السلاجقة الى بغداد

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة الإنكليزية : The Seljuks Enter Baghdad

ـــ دخول السلاجقة الى بغداد

بعد ان فرغ الامير طغرل بيك من بسط سيطرته على كل الاجزاء الشرقية للعراق، لم يبق له الا التوجه الى العراق ويقضي على بقايا النفوذ البويهي في العراق والمتمثلة بوجود الملك الرحيم البويهي وبقايا الاسرة البويهية في بغداد، إذ أخذ طغرل بيك يراسل الجند الاتراك داخل الجيش البويهي ليكسبهم الى صفه واخذ يعدهم ويمنيهم من اجل كسبهم جانبه خاصة انهم اصبحوا اصحاب النفوذ في العراق حيث اخذوا يعينون ويعزلون اذ تدخل الجيش البويهي الذي سيطر عليه الاتراك في تعيين أمراء بني بويه، ولهذا حاول الامير السلجوقي كسبهم، كما ارسل وفداً الى الخليفة في بغداد حاملا معه آيات الطاعة والولاء للخليفة العباسي، والهدف معروف هو كسب رضا الخليفة العباسي في بغداد.

لقد كان الوضع الامني والاداري غير مستقر في بغداد بسبب تدهور الحكم البويهي وانشقاق بين افراد الجيش البويهي وبخاصة بين فرعيه التركي والديلمي، كما الخلاف محتدما بين رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان وزيرا لآخر ملك بويهي في العراق وهو الملك الرحيم إذ كان هذا الوزير على خلاف شديد مع قائد الجيش أبي الحارث البساسيري الذي اعتنق مذهب الفاطميين لأسباب سياسية وخطب لهم. فضلا عن ان الخلافة العباسية كانت مهددة من قبل الفاطميين الين سيطروا على أغلب مدن الشام حتى سيطروا على الشام عام (٤٤١هـ /١٠٤٩م

وبعد سيطرة طغرل بيك على الأوضاع في خراسان حدثت ثورة قادها أحد أنصار البويهيين في ولاية فارس، وه القائد (فولاذ) صاحب قلعة اصطخر، الذي استولى على سيراز وقطع الخطبة للسلطان طغرل بيك وخطب للملك الرحيم البويهي آخر حكام البويهيين في بغداد، وعلى الرغم من استعادة الوضع في اقليم فارس من قبل السلاجقة الا ان هذه الحادثة قد حفزت طغرل بيك للقضاء على الوجود البويهي بصورة نهائية في العراق والمتمثل بالملك الرحيم.

أما بغداد فقد اضطربت أمورها ( ) وصار كل جندي فيها رأساً لنفسه، وانقطعت موارد البلاد)) واصبح الخليفة العباسي فاقد الثقة بمن حوله، والملك الرحيم البويهي لا يعرف ماذا يفعل، ووجد الوزير أبي القاسم علي بن المسلمة والملقب برئيس الرؤساء في مراسلة طغرل بيك خير مخرجا من مشاكله، على اعتبار انه الاقوى وربما يستطيع ان يحافظ على منصبه على اقل تقدير، أما قائد الجيش البساسيري فقد رأى ان دخول السلاجقة بغداد معناه زوال لمكانته، فدخل في صراع مع الوزير وراسل الفاطميين.

أن هذه الاوضاع كلها ساعدت طغرل بيك على تنفيذ خطته التي كان قد رسمها لدخول العراق، ولما تهيأت الظروف كلها لصالحه تحرك بسرعة لدخول العراق سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، واختار أسرع طريق يوصله الى بغداد، وهو طريق حلوان، وعندما وصل حلوان لم يجد الملك الرحيم البويهي بدا من الرضى بما يحدث بعد ان خذله جنده وقائد الجيش البويهي.

ولما وصلت أنباء وصول الجيش السلجوقي الى اطراف العراق الى سكان بغداد، هام الناس هناك وجوههم وتحيروا في كيفية مواجهة هذا الموقف، كما تحفز الجيش في بغداد واستعد لما قد يحدث. وهنا طهرت مقدرة السلطان طغرل بيك السياسية في عدم اثارة اهالي بغداد ضده، ولكي يطمئن الناس ويمتص غضبهم ويقلل من احتمالية تعرض الجيش السلجوقي لأية اصطدام غير متوقع، قام بإرسال وفدا الى بغداد مع رسالة يطمئن بها الخليفة العباسي والناس، إذ بين في الرسالة ان القصد من قدومه الى بغداد هو للتبرك بزيارة بغداد، ثم يتجه بعدها الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ومن ثم العودة الى بلاد الشام لطرد الفاطميين منها واعادتها الى حظيرة الدولة العباسية، وقد اقتنع الخليفة العباسي بهده الرسالة وأمر بذكر اسم طغرل بيك السلجوقي في خطبة الجمعة بعد اسم الملك الرحيم البويهي بالنص التالي((السلطان ركن الدولة أبا طالب طغرل بيك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين)).

وزيادة في الحيطة أرسل طغرل بيك رسولا آخر الى بغداد، يستأذن الخليفة العباسي بالسماح له في دخول بغداد فأذن له ولما وصل جيش طغرل بيك الى النهروان، خرج لاستقبالهم الوزير رئيس الرؤساء وضم معه وفد من كبار موظفي الدولة، من قضاة ونقباء وعندما علم طغرل بيك بوصول الوفد اليه أرسل لاستقبالهم امرائه ووزيره أبا نصر محمد ابن منصور الكندري، وهو أول وزراء آل سلجوق، ولما التقى طغرل بيك برئيس الرؤساء أبلغه الاخير برسالة الخليفة ((واستحلفه له وللملك الرحيم والامراء الاجناد فأجابه)). إذ تمخض اللقاء على اتفاقية نصت على ما يلي:

١ . صون الخلافة والحفاظ على هيبتها.

٢ . الابقاء على الملك الرحيم البويهي لمدة من الوقت لحين مغادرته بغداد.

٣ . الحفاظ على الامن والنظام في العراق.

توجه طغربيك الى بغداد بصحبة الجيش السلجوقي ودخل بغداد في الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة(٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، في موكب ضخم ونزل بباب الشماسية، والتقى بصاحب الموصل قريش بن بدران، إذ استقبل طغر بيك في بغداد احسن استقبال واعترف به الخليفة العباسي سلطانا على جميع المناطق التي سيطر عليها، ولقبه بـ (ملك المشرق والمغرب). كما تزوج الخليفة القائم بأمر الله من ابنة جغري بيك أخو طغرل بيك وهي (ارسلان خاتون خديجة).

وبدلا من ان يرد السلطان طغرل بيك على احسان الخليفة وأهل بغداد ووجوهها بالأفضل لحسن استقبالهم له، الا ان قابل الخليفة والملك الرحيم أسوء مقابلة وأحرج الخليفة العباسي وذلك بألقاء القبض على الملك الرحيم البويهي الذي ضمن الخليفة الحفاظ على حياته، وأرسله مكبلا الى سجن في فلعة طبرك في مدينة الري، وبهذا قضى طغرل بيك على آخر أمل للبويهيين في الحكم واسدل الستار على دولتهم، بعد أن اتهمه طغر بيك بتحريض العامة في بغداد ضد الوجود السلجوقي.

ولم يقف الخليفة العباسي موقف المتفرج في ما حدث من اعتقال الملك الرحيم لكونه تم اعتقاله دون موفقة الخليفة، وعد هذا الامر اهانة موجهة للخليفة وارسل الى طغر بيك يستنكر هذا العمل ويهدده بمغادرة بغداد. ولتطيب خاطر الخليفة فقد اطلق السلطان طغرل بيك بعض اصحاب الملك الرحيم بعد ان صادر إقطاعاتهم، فتوجه

قسم منهم الى البساسيري وانضموا الى حركته. كما صادر طغرل بيك أموال الاتراك البغداديين. وامتدت اعمال السلب والنهب من الجانب الغربي من تكريت الى نهر النيل - النيل بلدة بين بغداد والكوفة - إذ أخذ الغز السلاجقة يمارسون عمليات النهب والسلب على أموال الناس. كما لم يتوانى السلاجقة عن استخدام القوة ضد النساء والاطفال والشيوخ، إذ تعرضوا الى الضرب من اجل ارغامهم على تقديم المزيد من الأموال أو الادلاء على أماكن وجودها. ولم يكتف السلطان السلجوقي بما صادره من أموال وأملاك الملك الرحيم البويهي وأمراء أجناده. وامتدت ايضا يد السلطان طغر بيك الى أموال الخليفة العباسي، إذ أرسل الخليفة وزيره عبدالملك الكندري والخليفة كان حينها في أسوء حال إذ كان في مجلس عزاء ابنه وولي عهده محمد، ليطلب منه اموالا طائلة، فعظم على الخليفة مقدارها فأشاروا اليه بان يطلق يده في أموال الحريم واجاب رسل السلطان بأن ((مال الحريم ما زال مصونا وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته في ولدهم)).

ورافق أيضا عند دخول الجيش السلجوقي الى بغداد نهب وسلب واعتداء على أموال الناس ودورهم ومحلاتهم التجارية، إذ ذهب قسم من العسكر السلجوقي الى أحد أسواق بغداد للأمتيار للشراء من سوق الأزج، وطلب الجنود من احد أهل السوق تبنا وهو لايفهم ما يريدون، فاعتدوا عليه بالضرب فأخذ يستغيث باهل السوق وصاح بالعامة، وارتج المكان وتصادم أهل السوق والجند وقتل عدد من الجند السلاجقة. ووقع ايضا اصطدام بين اهل بغداد والجيش السلجوقي بسبب ما ارتكبوه من عمليات سلب ونهب وقتل الابرياء. كما خرج جماعة من أهل بغداد الى ظاهر بغداد وهم يحملون السيوف واصطدموا مع السلاجقة ودارت معركة بين الطرفين، اثبتت فيها قوة أهل بغداد وان اعمالهم لن تمر دون حساب مما أضطر السلطان السلجوقي الى اصدار أمر بعدم دخول السلاجقة الى بغداد وان يخرج من وجد من السلاجقة من دور الناس، فضلا عن تقديم اعتذاره للخليفة القائم بأمر الله. كما استاء الخليفة من اعمال الجيش السلجوقي وارسل رسالة الى السلطان السلجوقي عبر فيها عن خيبة أمله في السلاجقة وفي طغر بيك نفسه. ونتيجة لهذه التصرفات التي ابداها طغربيك توترت العلاقة بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله، فيذكر أن السلطان طغرل بيك ظل أكثر من ثلاثة عشر شهرا دون ان يحظى بمقابلة الخليفة. ويبدوا ان السلاجقة احسوا بالفتور بينهم وبين الخليفة فأرادوا اصلاح الموقف في وقت بأن الخلافة تستعيد هيبتها، فأصدر الخليفة امرا الى السلطان السلجوقي بالمسير الى الشام لإقامة الخطبة له على منابر الشام وقد استجاب السلطان السلجوقي لذلك واصدر امرا الى عساكره ان يتجهزوا ليتوجهوا معه الى بلاد الشام.